تمهيد

يعّد ديفيد كريستال (David Crystal) علما بارزا، وحجة موثوقة في مجال اللغة الإنجليزية، فهو يقدم في هذا الكتاب وصفا حيّا وواقعيا عن نهوض اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عالمية، ويستكشف الأسباب والحاجات التاريخية لهذا النهوض مع ربط ذلك بالوضع الراهن للغة الإنجليزية. ويستشرف الكتاب كذلك المستقبل المتوقع للغة الإنجليزية بصفتها لغة التواصل بين شتى بقاع العالم. وكثيرا ما أُمتدحت اللغة الإنجليزية على أنها اللغة "الأكثر نجاحا" على الإطلاق ؛ إذ بلغ عدد المتحدثين بها ألفا وخمسمائة مليون (١٥٠٠٠٠٠٠٠٠) متحدث حول العالم. بيد أن كريستال يتحاشى الانحياز للغة الإنجليزية، ويحاول أن يتناول الموضوع بطريقة مقننة، وجذابة، ومؤيدة بالحقائق والأرقام. وتحوي هذه الطبعة من الكتاب أجزاء إضافية (حول مواضيع تشمل المميزات اللغوية لما يسمى بالإنجليزيات الجديدة (New Englishes)، ومستقبل الإنجليزية بوصفها لغة عالمية، وإمكانية نشوء عائلة من اللغات الإنجليزية). ويحوي الكتاب كذلك هوامش وببلوجرافيا شاملة. وقد اشتملت هذه الطبعة على تحديثات في كل أجزاء الكتاب، فهو كتاب يصلح لأي فرد، ومن أي جنسية يهتم بالإنجليزية مثل المعلمين،

والطلاب، ومتخصصي اللغة، والسياسيين، والقراء عموما، وكذلك أي فرد لديه شغف باللغات بوجه عام.

إن ديفيد كريستال هو أحد الأعلام المشهورين في علم اللغة بشكل عام، فقد ألف "موسوعة كمبردج للغة" في عام ١٩٧٨م، والطبعة الثانية منها في عام ١٩٩٧م، وهي الطبعة الأكثر نجاحا. وألف أيضا" موسوعة كمبردج للغة الإنجليزية" في عام ١٩٩٥م، وكتاب "موت اللغة" في عام ٢٠٠٠م، وكتاب " اللغة والانترنت" في عام ٢٠٠١م، وأخيرا كتاب "كلمات شكسبير" بالإشتراك مع بين كريستال (Ben Crystal) في عام ٢٠٠٢م. وبما أن ديفيد كريستال كاتب ذو شهرة عالمية، ومحرر صحفي بارز، ومحاضر، وإذاعي، فقد منح جائزة: أو بي (OBE) في عام ١٩٩٥م، وذلك نظير ما قدمه من خدمة في دراسة اللغة الإنجليزية وتعليمها. وقد قام كريستال كذلك بتحرير مجموعة من الكتب التي تضمنت طبعات لموسوعة كمبردج (١٩٩٠م-٢٠٠٠م) وطبعات أخرى تابعة لها، وكذلك عن كتابه الذي ألفه بالإشتراك مع هيلاري كريستال (Hilary Crystal) بعنوان "كلمات على كلمات" في عام ٢٠٠٠م، وأخيرا "موسوعة بنجوين الحديثة" في عام ٢٠٠٢م.

مقدمة الطبعة الثانية

على الرغم من أن كتاب "**اللغة الإنجليزية لغة العالم**" لم يظهر إلا بحلول عام ١٩٩٧م، فإنه قد تمَّ تأليفه فعليا في عام ١٩٩٥م؛ وهو ما جعله يبدو - بحلول عام ٢٠٠٢م- وكأنه كتب منذ زمن طويل، وخاصة فيما يتعلق بالتطورات اللغوية العالمية. لقد كان عقد التسعينيات عقدا ثوريا، خاصة مع انتشار عدد من التنوعات اللغوية التي جاءت بوصفها نتيجة طبيعية للتطبيقات العالمية الواسعة للإنترنت، وتنامي مستوى الوعي بالمشكلات التي عرضت بعض لغات العالم للخطر، وكذلك تزايد الإدراك العام للوضع العالمي للغة الإنجليزية. وقد تزايدت المطبوعات الأكاديمية المتعلقة بالموضوع الأخير كما ونوعا، أمَّا الطروحات المستقاه بشكل واسع من الأوراق البحثية العلمية في العقود السابقة فقد كانت استكشافية بطبيعتها، ومقتصرة على أوضاع محددة، وتفتقر إلى الإطار المرجعي في السياق اللغوي الاجتماعي. وركزت هذه الطروحات البحثية في مجملها على اللغة المكتوبة، وعلى السياقات الأدبية في علم اللغة. وعلى النقيض من ذلك، فقد شهدت الفترة اللاحقة ظهور توجهات بحثية ركزت على جوانب اللغة المنطوقة مع توسع كبير في حشد البيانات الوصفية، بالإضافة إلى محاولات الوصول إلى تفسيرات وتنبؤات على المستوى اللغوي الاجتماعي.

وعلى وجه التحديد، ظهر عدد من الكتب التي تناولت معالجات للغة الإنجليزية انطلاقا من مشاهدات وأطروحات ترتكز أساساً على ظاهرة عالمية اللغة الإنجليزية، وكأن عالمية اللغة أصبحت غاية في حدِّ ذاتها. ومع حلول نهاية العقد، تركزت المواقف المختلفة للكتاب والمؤلفين على عدد من القضايا النظرية المهمة، وألقت الضوء على جوانب عديدة من ظاهرة عالمية اللغة، وهو ما قادني إلى النظر للطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكأنها نتيجة محتملة لتلك الطروحات النظرية فضلاً عن أن يكون الكتاب مجرد سجل للأحداث الماضية، أو استجلاء للعوامل التاريخية التي قادت الإنجليزية إلى الوضع التي وصلت إليه على مستوى العالم. وعلى الرغم من أنني تحاشيت التنبؤات المستقبلية المحضة، فإنني اعتقد أن اللغة الإنجليزية "قد نضجت إلى الحد الذي أصبحت معه مستقلة عن أي شكل من أشكال السيطرة الاجتماعية" (كما في الطبعة الأولى). ومن وجهة نظري، فإن زخم التطور قد أصبح كبيراً جدا لدرجة أنه لم يعد بإمكان أي شيء – على الأقل في المستقبل المنظور– إيقاف انتشار الإنجليزية المستمر بوصفها لغة تداولية للتواصل. وهناك كتب أخرى اتخذت اتجاهات مغايرة، ومنها – على سبيل المثال – كتاب ديفيد غرادول (David Graddol) "**مستقبل الإنجليزية**"، والذي نشر عام ١٩٩٨م، والذي تناول فيه مستقبل اللغة الإنجليزية من خلال وضعها الحالي، واستشراف النزعات المعاصرة التي قد ستؤثر في دور اللغة النهائي في المستقبل. وبالنسبة لغرادول، فإن اللغة الإنجليزية قد يتعرض ازدهارها الحالي للتراجع وفق منطق حدوث "غير المتوقع"؛ وهو منطق موروث في التطور اللغوي، حيث يقول غرادول: "إن موجة الإنجليزية العالمية الراهنة ربما تفقد زخمها". ويذهب غرادول إلى أن هناك إمكانية حقيقة لظهور عدد من اللغات المتماسكة في القرن القادم، وهو ما قد يزعزع وضع الانجليزية العالمي الحالي. وقد أتى بعد ذلك كتاب توم مك آرثر (Tom McArthur) بعنوان: "اللغات الإنجليزية"، والذي

نشر أيضا في عام ١٩٩٨م. وقد تبنّى مك آرثر اتجاها زمنياً منطلقاً من مفهوم اللغة الإنجليزية النموذجية الواحدة. وكان تركيزه الأساسي على أنواع الاختلافات التي تحدث في اللغة؛ نتيجة لانتشارها عبر العالم. ويرى أن اللغة الإنجليزية جرى عليها عمليات تغيير جذري، وهو ما يقود إلى تصنيفها وفق مفهوم "عائلة من اللغات."

لقد كان دور هذه الكتب - التي أشرنا لها آنفا - هو إبراز المنطلقات المعيارية التي تؤثر في الموجة الجديدة من الدراسات والبحوث التجريبية حول تطور اللغة الإنجليزية. فقد كان هناك - في السابق - شحا في طرح فرضيات عامة حول هذا الموضوع، وكانت في الأغلب بهدف تشجيع البحوث.. أما اليوم فإن لدينا وفرة كبيرة من هذه الفرضيات. هناك الآن قضايا تتعلق باستخدام اللغة، وهناك قضايا وفرضيات تتعلق بالبعد السياسي، وأخرى تتعلق بالبعد الاقتصادي والسكاني، وأخيرا قضايا تتعلق بالعوامل الاجتماعية بصفتها مؤثرات على الحضور العالمي للغة. كما أن هناك أطروحات تتعلق بمستويات الاستخدام المحلي للغة مثل المناطقية والمحلية، وتلك التي على مستوى الأقليات أو اللغات المهددة بالانقراض. وعليه، فإن دور هذه المجموعة من العوامل وغيرها على المستوى العالمي الحالي لم يزل جديرا بالاكتشاف. وفيما عدا ذلك فإن القضايا الأخرى - التي تؤثر على تراكيب اللغة مثل عوامل المناطقية والعوامل الاجتماعية، والتنوعات اللغوية- قد احتلت مساحة كافية في بحوث ودراسات علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللهجات. ولكن مازال يوجد انخفاض في مستوى الوعي حول العوامل المؤثرة على مستوى النطاق الواسع للغة، ومفهوم التغيير الجذري الذي تطرق له مك آرثر، والذي ينطوي على نتائج عدة، وبالتحديد تلك التي تتعلق بنشوء "عائلة اللغات الإنجليزية"، مما يفرز عددا كبيرا من أشكال التعدد اللغوي (وهو مفهوم بعيد عن مفهوم "الثنائية اللغوية" التي يتداوله الناس حاليا). كما أن ظهور عدد كبير من الرؤى المعقدة حول مفهوم اللغة القياسية "النموذجية"،

ومفاهيم التعددية في اللهجات يسهم في تعقيد المسألة أكثر. ولا يتوفر لدينا اليوم تصنيف لغوي دقيق لمستوى النطاق الواسع للغة، فنقاط الالتقاء (أو التماس اللغوي) قد تكون بشكل حسي مثل التحركات السكانية، والتطورات الاقتصادية، أو الالتقاء عبر التواصل من خلال الإنترنت أو الأقمار الصناعية.

وفي الواقع، قمت بتأليف هذا الكتاب "اللغة الإنجليزية لغة العالم" آملا أن يكون سهل القراءة، وأن يكون مباشرا في الطرح. وقد آثرت ألاّ أعيق تدفق أفكار القارئ العام بتقديم كم هائل من الحواشي الأكاديمية والهوامش الموسعة؛ ومن هنا عمدت إلى إيراد أي إشارة مرجعية داخل النص نفسه. واعتقد الآن - ومع مرور الزمن- أن أشياء كثيرة قد تغيرت ويمكن الرجوع إليها، غير أن كثيراً من وجهات النظر الحديثة قد تم أخذها بعين الاعتبار في هذه الطبعة. وفي هذه الطبعة ايضا، قمت بتبنّي أسلوبا أكاديميا تقليديا في عرض موضوعات الكتاب، فمن حيث المحتوى، كان التغيير الأساسي في الفصل الخامس الموسع والذي يضم ألان عرضا موسعا، ونقاشا علميا للقضايا التركيبية "للإنجليزيات الجديدة". وقد كان هذا كله بفضل الوفرة الكافية للدراسات الوصفية التي تناولت موضوع التنوعات اللغوية، وهو ما كان شحيحاً قبل عقد من الزمن. وأخيراً، فإن جميع الإحصاءات والتقديرات المتعلقة بالسكان قد تمت إلى عام ٢٠٠١م.

المؤلف

ملاحظة من الناشر

لقد بذلت دار النشر كل جهودها من أجل التأكد من أن الروابط التي تشير إلى مواقع على الإنترنت تعمل في الوقت الذي طبع فيه الكتاب. والدار غير مسؤولة عن محتوى هذه المواقع.. وليس بالإمكان ضمان ما إذا كانت هذه الروابط تعمل حاليا أم لا.

مقدمة الطبعة الأولى

لقد حدث كل شيء بشكل متسارع، ففي الخمسينيات من القرن الماضي كانت فكرة أن اللغة الإنجليزية ستصبح لغة العالم- كانت بمثابة تخمين غامض، ومشوش، ومحاط بالشكوك خصوصا في ظل الإرهاصات السياسية للحرب الباردة التي كانت قائمة أنذاك. وكانت مثل هذه الفكرة تفتقر إلى التعريف الواضح و الاتجاه المحدد. و بعد مرور خمسين عاماً، أصبحت اللغة الإنجليزية العالمية حقيقة ثقافية وسياسية ماثلة للعيان. كيف تم ذلك التحول اللغوي الكبير؟ في فترة تقل عن عمر الإنسان العادي؟ ولماذا الإنجليزية بالذات وليست أي لغة أخرى؟ هذه هي الأسئلة التي يحاول هذا الكتاب إيجاد الإجابات لها.

لقد أصبح الوقت مناسباً لمناقشة هذه القضايا، ويعود الفضل في ذلك إلى التقدم العلمي في مجال علم اللغة الاجتماعي، حيث أصبحنا نعرف الكثير عن الظروف الثقافية و الاجتماعية التي تتحكم في مكانة اللغة وتغيرها. كما يعود الفضل كذلك إلى العديد من الدراسات المسحية الموسوعية التي قدمت كثيراً من المعلومات المنفصلة عن استخدام اللغة العالمية. وهناك أيضا حاجة ماسة و متنامية لمناقشات جادة حول موضوع انتشار اللغة الإنجليزية، حيث أصبح دور اللغة الإنجليزية موضعاً للنزاع السياسي في

كثير من الدول، وتنامى الجدل حول وضع الإنجليزية الحالي و المستقبلي. هل تطورت المسألة إلى الحد الذي لم يعد من الممكن إيقاف تنامي الإنجليزية بصفتها لغة عالمية؟ ولمناقشة هذا السؤال، يجب أن ننظر إلى العوامل المؤثرة في النتائج أو المخرجات. و من الصعوبة بمكان تأليف كتاب عن هذا الموضوع دون أن يوجه اتهام بالتحيّز السياسي أو اللغوي؛ لأنه لا يوجد موضوع أكثر حساسية من موضوع اللغة لعلاقته الوثيقة بالانتماء والقومية. وسرعان ما يستغل مثل هذا الموضوع سياسيا، كما هو الحال في بلدان فيها يكثر فيها التنوع اللغوي مثل الهند و ماليزيا و الولايات المتحدة الأمريكية. إذن، هناك حاجة خاصة، لوجود طرح محايد، وهو ما افعله الآن في هذه الصفحات، و الذي يرتكز جزئياً على البحث التاريخي الذي قمت لموسوعة كمبردج للغة الإنجليزية؛ ولكنني - في هذا الكتاب - توسعت في تحليل العوامل الثقافية ذات العلاقة في محاولة جادة لسرد قصة انتشار اللغة الإنجليزية لتصبح لغة العالم. وقد سردت هذه القصة بموضوعية، ودون ترجيح لأي كفة سياسية على أخرى، ودون تبني نبرة الانتصار، والتي - مع الأسف- نجدها عند كثير من الكتاب الذين يكتبون عن اللغة الإنجليزية باللغة الإنجليزية نفسها.

ويجب على الكتّاب - دائما - أن يوضحوا للقراء أين يقفون بالضبط، عندما يتعلق الموضوع بقضايا حساسة، أو مثيرة للنزاع. و كما هو موضح في الملخص أدناه فإنني أؤمن بمبدأين لغويين - يُنظر إليهما دائما على أنهما متعارضين ولكنهما بالنسبة لي وجهان لعملة واحدة.

- أنا أؤمن بالقيمة الأساسية للتعدد اللغوي، والذي يعد مصدراً عالمياً مدهشاً، يمدنا بالكثير من الأفكار، ووجهات النظر الثاقبة، ويمكّننا من الوصول إلى فهم أكثر عمقاً للعقل البشري والنفس الإنسانية. وفي العالم المثالي، يجب أن يكون كل فرد على الأقل ثنائي اللغة؛ فانا أعيش في مجتمع توجد فيه لغتان:

الويلزية، والإنجليزية جنباً إلى جنب، وأرى المنفعة اليومية للفوائد التي تأتي جراء وجودي في جزء كبير من ثقافتين. وقد نذرت جزءاً كبيراً من حياتي الأكاديمية - بصفتين كباحثاً في علم اللغة العام- لإقناع الناس بالاهتمام الجدي باللغة واللغات، كي نحافظ على اكبر قدر ممكن من تراثنا اللغوي.

- أنا أؤمن بالقيمة الأساسية للغة المشتركة، كمصدر عالمي مدهش، يمدنا بإمكانيات لا حصر لها للتفاهم المتبادل، وهو ما يمكننا من إيجاد فرص جديدة للتعاون الدولي. وفي العالم المثالي أيضا، على كل فرد أن يكون لديه القدرة على التحدث بطلاقة بلغة عالمية واحدة، فأنا الآن في وضع محظوظ كوني أتحدث - وبطلاقة- اللغة التي يتحدثها العالم، وفي طريقها لتحقيق هذه المكانة، ولدي السبب الكافي للتفكير يوميا في الفوائد التي اجنيها. وقد نذرت جزءاً كبيراً من حياتي الأكاديمية، كذلك - بصفتين كمتخصصاً في علم اللغة الإنجليزية التطبيقي- لجعل هذه الفوائد متاحة للآخرين، كي لا يصبح الإرث اللغوي لمجتمع ما.. عائقا أمام المنافع الجمة التي نجنيها من التنوع اللغوي.

يجب علينا أخذ المبدأين في الاعتبار إذا ما أردنا التقدم نحو مجتمع متسامح وسلمي، طالما حلم الجميع به. إن المبدأ الأول يشجع على الهوية التاريخية ويطور من مناخ الاحترام المتبادل. كما إن المبدأ الثاني يشجع على الفرص الثقافية ويطور من مناخ القبول العالمي. إني أمقت على الدوام ما يفعله الناس في وضع هذين المبدأين ضد بعضهما، والنظر إليهما على أنهما مختلفين ومتعارضين وليس متكاملين. واستطيع القول بأنني أعرف تماماً لماذا يحصل ذلك، فأنا لست سطحياً الفهم بالعالم ثنائي اللغة، ولا بالعالم الواقعي في حد ذاته. ومن خلال عملي في عالم ثنائي اللغة (وقبل أن أكون عالم لغة، فقد كنت مديراً لمركز فني ثنائي الثقافة) أدرك تماما المشكلات التي تفرضها المصادر المالية المحدودة، وتصارع المصالح، والخصومات البحتة. وقد كان لي نصيب لا

بأس به من المجادلات الساخنة مع السلطات الرسمية، والسياسيين المحليين، وهيئات المنح القومية حول مسالة كيفية الوصول إلى توازن عقلاني جيد بين المبدأين وفي تطبيقهما على الوضع في ويلز. إذن، أنا لست واهماً أو حالما عند الحديث عن مدى صعوبة تحقيق إجماع عام حول مثل هذه القضايا عميقة التجذر، ولكن البحث عن توازن وإجماع عام يجب أن يحصل في المجتمع المتحضر، لأن هذه الحاجة أصبحت ماسة بشكل كبير على المستوى العالمي، التي أصبحت فيه مصادر الإيذاء المتبادل أكبر بكثير عما كانت عليه.

لقد ألفت هذا الكتاب: "الإنجليزية لغة العالم" كي أسهم في تحقيق هذا الهدف طويل الأمد، ولكنني لا استطيع الإدعاء بأنني أول من كان له شرف رؤية الحاجة لمثل هذا الكتاب. لقد جاء اقتراح فكرة هذا الكتاب في الأساس من قبل ماورو أي موجيكا (Mauro E. Mujica) رئيس منظمة اللغة الإنجليزية الأمريكية، وهي أكبر المنظمات في الولايات المتحدة التي تسعى نحو وضع اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية الوحيدة في الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت الفكرة حول الحاجة لكتاب يشرح لأعضاء هذه المنظمة -بشكل دقيق، ومحكم، وواقعي، وبدون تحيز سياسي- لماذا حققت الإنجليزية هذه المكانة العالمية الانتشار. لم يكن مثل هذا الكتاب متوفراً، ولم تكن كتاباتي السابقة عن تاريخ اللغة قد قدمت شرحاً شاملا للعوامل الاجتماعية التاريخية المعنية .ولذا، قرّرت بأن أقوم باستطلاع مركز ضمن عضوية هذه المنظمة، وما هذا الكتاب إلاّ نسخة موسعة.. ومنقحة.. ومزيدة من ذلك الاستطلاع المركز. وقد أُعِيْدَتْ كتابة محتويات الكتاب، وتغيير عنوانه، وإضافة موضوعات، وتخصيص قسم خاص عن "الإنجليزية الرسمية" التي كانت مدار النقاش في الولايات المتحدة الأمريكية، وإضافة موضوعات أخرى حول استخدام الإنجليزية في الانترنت. وهناك الكثير من التعديلات والمراجعات

التي أتت من خلال الاقتراحات التي قدمها مجموعة من المراجعين الأكاديميين الأمريكيين والبريطانيين على المسودات الأولية، والذين تمت مراسلتهم من قبل الناشر(جامعة كمبردج)، حول الطرق التي من خلالها ربما يتحسن نطاق وتوازن الكتاب وقد أسهمت ملاحظاتهم في إخراج هذا الكتاب " اللغة الإنجليزية لغة العالم" بالصورة التي أطمح لها.

أنا -حقًا- مدين بالشكر لـ راندولف كويرك (Randolph Quirk) فيما يتعلق باقتراحاته حول طرق تحسين الصورة الإحصائية التي قدمت في الفصل الثاني. والشكر كذلك للسيد جيفري ننبيرج (Geoffrey Nunberg) لتعليقاته التي ساعدتني في فهم الوضع الأمريكي، ولقيامه بإرسال بعض الملاحظات غير المنشورة والمتعلقة بالإنترنت واستخداماتها في الفصل الرابع.

وبالنسبة للبعض، فإن مجرد ذكر منظمة سياسية في سياق التحضير لموضوع هذا الكتاب، سيضعه في خانة الاتهام بأنه متحيز - سياسياً- في محتواه. وعلى هنا أن أوضح بأن الأمر ليس كذلك.. فلم يكتب هذا الكتاب وفق أي أجندة سياسية، ولربما كتبتُ نفس الكتاب لو كانت المبادرة قد أتتني من منظمة أمريكية لغوية ذات طابع غير سياسي. إن كتاب: " اللغة الإنجليزية لغة العالم" يطرح ببساطة ثلاثة أسئلة: ما الذي يجعل من اللغة لغة عالمية؟ لماذا الإنجليزية هي المرشح الأول؟ وهل ستستمر في الحفاظ على هذه المكانة؟ .. ولذلك فإن أيَّ كتاب يتناول هذه العوامل، والحقائق المتعلقة بها، لا بد أن يكون مفيداً لأي إنسان مهتم بقضايا اللغة مهما كانت وجهات نظره السياسية، وهذا ما آمل أن يحققه هذا الكتاب.

المؤلف